زواج مختلفي الديانة ومايترتب
على ذلك من آثار على الأسرة

ذ. عمرو لمزرع*

مقدمة

تظل المبادئ والنظريات تسبح في أجواء عالية حتى تبرهن على التحقق في الواقع الملموس، وتحول المبدأ النظري إلى الفعل المنظور. والاختلاف والتنوع سنة ثابتة في الكون، وقانون اجتماعي يحكم البشر منذ الأزل. . .والبشر وهم يخوضون تجاربهم في الحياة يدركون تعدد الانتماءات، وتباين القناعات، ويحاولون جاهدين أن يجدوا مربعات للالتقاء والتفاهم والتعايش. . في حين تظل الثوابت هي شعار كل أمة تمدها بالخصوصية والتمايز، وتضمن لها الفعل والصيرورة والبقاء.

وما أدق ماسنه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص، وإظهار حقائق الرجال، وذلك حينما جاءه رجل ليشهد لرجل آخر[1] . . .

فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟

فأجاب: نعم

قال: هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه؟

فأجاب الرجل: لا

* ذ. عمرو لمزرع: أستاذ باحث بكلية الحقوق جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

[1]- تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله علوان 36/1.

قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق؟

فأجاب الرجل: لا

قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل؟

فأجاب الرجل: لا

فصاح به عمر لعلك رأيته قائما قاعدا يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة، ويخفضه أخرى، فرد الرجل: نعم!!

قال له عمر: اذهب فإنك لاتعرفه، والتفت إلى الرجل وقال له: ائتني بمن يعرفك، فعمر رضي الله عنه لم ينخدع بشكل الرجل ولامظهره، ولكن عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حاله، ودلت على تدينه وأخلاقه.

وقد استطاعت الثقافة الإسلامية أن ترسي القيم والفضائل في المجتمع الإسلامي حيال الآخر، وتجعل المسلم يتعامل معه من منطلق الاختلاف والتنوع، وواجبه أن يستوعب مايلائم طبيعته وفكره، ولايتعارض مع مرجعيته العليا، ووحيه الأعلى.

وقد شهد الأباعد قبل الأقارب أن حضارة الإسلام لم تكن (حضارة الأنا)، تستمد قوتها من عرقية مقيتة ولا من عصبية ضيقة، تهين الإنسان وتلغي خصوصياته، وتستعدي على دينه وفكره، بل كانت حضارة التسامح التي ظلت ولا تزال تمد الأيادي مشرعة لاحتضان الآخر والحرص على خصوصيته، ومد جسور التعاون معه على العيش المشترك، والبناء المتواصل، في ظل الحرية والإخاء الإنساني المنشود.

ويظهر هذا التسامح في رعاية الحريات الدينية، فالمسلم يؤمن بأن عقيدته أصح العقائد، يؤمن بها ويوقف حياته من أجلها، وهي الحق وغيرها هراء، ولكنه لايحمل

الناس على عقيدته بالقوة المرهبة، بل يعرض دينه على الناس في أجمل عرض، وأرق عبارة، وأحسن جدال. . .

فللحرية الدينية بعد أساسي في حياة الكائن البشري، حيث يسعى إلى امتلاكها والعيش وفق مقتضياتها، فيمارس طقوسه، ويؤمن بمعتقداته، بصفتها جزءا منه لاتنفصل عنه، وحقه الطبيعي هذا مكفول منذ الأزل، يختار فيعتقد، ويؤمن فتتحرك جوارحه بالعبادة وأداء الشعائر، ويمضي في سبيل عقيدته يعيش وفقها، وينظم حياته على ضوء تكاليفها. . .

ولاشك أن الحرية الدينية أخذت حيزا كبيرا في الواقع المعاصر، والعالم يعرف تحولات خطيرة على جميع الأصعدة يسهم الدين بقوة من قريب أو من بعيد في صوغها وتوجيه مسارها بعد عقود من العلمانية التي سادت المجتمعات الأوروبية الحديثة والمعاصرة، واليوم يتقهقر الفكر العلماني ليرجع الدين إلى سابق عهده يرسم منهج الفكر، ويضبط منازع النفس سلبا أو إيجابا. . وهذا الحضور الجديد يولد بلا ريب الصراعات بين أفكار وسياسات تقف في كثير من الأحيان عقبة في وجه الحوار المتمدن بين الأمم والشعوب.

تعد مسألة الزواج من الشريك المخالف لشريكه دينيا إحدى المسائل المهمة التي أولتها الديانات أهمية كبرى، فلكل دين إلهي رؤيته إلى هذه المسألة، كما أن الاتجاهات غير الإلهية رأت إليها وتحدثت عنها. . وللإسلام رؤيته المتميزة من بقية الأديان والاتجاهات، وموقفه الخاص. .، إذ بنيت تشريعاته في هذا المجال، على جانب عظيم من التسامح وقبول الآخر. ومن هنا يمكن القول إن الإسلام هو أول الأديان والشرائع التي سمحت لأتباعها بالزواج ن غيرهم من سائر الأديان الأخرى، بحيث يمكن القول بأن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تتميز بأفق واسع في مجال العلاقات الإنسانية بين

الشعوب والأمم، أو أنه على أقل تقدير لم يسبقه تشريع يتصف بهذه المزية في نظرته الواقعية للإنسان.

ويشكل هذا الموضوع بالنسبة للجاليات العربية والمسلمة التي تعيش كأقليات في العالم الغربي أو غيره، حيث يسلط الضوء على البعد الفقهي والحقوقي في مسألة زواج المسلم والمسلمة من الديانات الأخرى ومايترتب على ذلك من مشاكل جمة على مستوى العلاقة الزوجية وعلى مستوى الأبناء، فما المقصود بزواج مختلفي الديانة وماهي آثار هذا الزواج هذا ما سأتناوله في هذه المداخلة عبر محورين:

المحور الأول: التعريف بزواج مختلفي الديانة وحكمه

المحور الثاني: آثار زواج مختلفي الديانة.

المحور الأول: التعريف بزواج مختلفي الديانة وحكمه

مع تنامي الهجرة وتوسع إمكانيات الإتصال بين الشعوب والدول عرف زواج مختلفي الديانة تزايدا مطردا بين مواطني مختلف العالم، وإن هذا الزواج هو مبني مبدئيا على علاقة الحب التي تنشأ بين الزوجين وعلاقة الحب هذه التي توحد الثنائي تعزله في المرحلة الأولى عن مجتمعه بحث لايرى الواحد سوى الآخر فتتلاشى البيئة والمجتمع والدين وتتضاءل أهميتها غير أنه سرعان مايعود المحيط ويأخذ مكانته بالذات عندما نبدأ الحياة الزوجية الحقيقية ويواجه الحب والعلاقة الغرامية الواقع والعقبات ففي هذه المرحلة يظهر التضارب في القيم المرجعية.

وقبل أن أتحدث عن آثار هذه الظاهرة سأبدأ بالتعرف على أشكال الزواج بين مختلفي الديانة أولا ثم التقارب بين المسلمين وأهل الكتاب في الزواج ثانيا.

المطلب الأول: أشكال الزواج بين مختلفي الديانة

إن المخالفين للمسلمين في الدين أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: من ليس لهم كتاب سماوي ولاشبهة كتاب. وهؤلاء هم الذين يعبدون غير الله من الأصنام والأوثان والكواكب والحيوانات وغير ذلك. ومنهم الملاحدة الذين لايدينون بدين مطلقا ويحاربون الأديان كلها، وكذلك المرتدون وهم الخارجون عن الإسلام وإن انتقلوا إلى دين سماوي آخر لأنهم لايقرون على ما انتقلوا إليه فلا دين لهم.

فهذا الصنف يحرم على المسلم أن يتزوج بوادة منه تحريما مؤقتا حتى تؤمن بالله.

كما لايجوز للمسلمة أن تتزوج برجل من هؤلاء إلى أن يؤمن لقوله تعالى: (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين ءاياته للناس لعلهم يتذكرون)[1].

الصنف الثاني: من لهم شبهة كتاب، وهؤلاء هم المجوس الذي يعبدون النار فقد قيل إن الله أنزل على نبيهم وهو زرادشت كتابا فحرقوه وقتلوا نبيهم فرفع الله هذا الكتاب من بينهم.

وهذا الصنف قد اختلف الفقهاء في تحريم الزواج منه بناء على اختلافهم في هل لشبهة الكتاب من أثر ما للكتاب من أثر في حل التزوج أو لا ؟

[1]- سورة البقرة الآية 221.

ذهب جمهور الفقهاء ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة إلى تحريم تزوج المسلمين من نسائهم، لأن حقيقة المجوس أنهم يعبدون النار فيدخلون في عداد المشركين الذين لايدينون بدين سماوي. وقد عدهم القرآن فرقة مغايرة لأهل الكتاب قال الله تعالى:(إن الذين آمنوا والذين هادوا [1] والصائبين [2] والنصارى [3] والمجوس [4] والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) [5].

الصنف الثالث: من لهم كتاب سماوي يؤمنون به كاليهود الذين يؤمنون بالتوراة والنصارى الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل.

وهذا الصنف يحل التزوج بنسائه عند جمهور الفقهاء لقوله تعالى:(اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المومنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهم غير مسافحين ولامتخذي أخذان) [6]-والمراد بأهل الكتاب في هذه الآية أهل التوراة والإنجيل.

والمتأمل في عرض القرآن الكريم لطوائف غير المسلمين يجب أنه اقتصر على ذكر طوائف أربع: المشركون، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمجوس والصائبين لأن هؤلاء هم المعروفون للعرب أثناء نزول الوحي إما لوجودهم في بلادهم أو بمجاورتهم لهم في العراق والبحرين، ولم يتعرض للبراهمة والبوذيين وغيرهم لوجودهم في بلاد بعيدة لاصلة للعرب بهم فاكتفى في خطابهم بما يعرفون.

---

[1]- اليهود، وهم المنتسبون إلى ملة موسى عليه السلام.
[2]- وهم قوم يعبدون النجوم
[3]- هم المنتسبون إلى ملة عيسى
[4]- هم عبدة النيران القائلين أن للعالم أصلين: نور وظلمة (راجع تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن 12/ 22)
[5]- سورة الحج الآية 17
[6]- سورة المائدة الآية 6.

المطلب الثاني: التقارب بين المسلمين وأهل الكتاب في التزاوج

إذا كان التقارب بين المسلمين وأهل الكتاب أباح تزوج المسلم بالكتابية فإنه لم يبح العكس، لأنْ طبيعة الزواج تجعل للزوج سلطانا على زوجته فقد تقع تحت تأثير زوجها وإذا ماحاولت الدفاع عن دينها فقد تسوء العشرة بينهما لهذا وذاك حرمها الشارع على غير المسلم بخلاف العكس فإن الكتابية لو حاولت الطعن في دين زوجها المسلم فإنه يستطيع الدفاع عنه. كما أن الإسلام منع الزوج من حمل زوجته الكتابية على الخروج من دينها، ويكتفي بجعل ثمرة هذه الزوجة من الأولاد مسلمين، وبذلك يتيح للزوجة ممارسة عقيدتها الخاصة بها من غير تضييق ولاحرج عليها بشكل من الأشكال، أما الأديان الأخرى فليس فيها هذا الضمان، لأن المسلم يؤمن بجميع الرسل ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام فلا يتصور منه الطعن فيهما، أما الكتابي فلعدم إيمانه بخاتم الرسل وبالكتاب المنزل عليه لايستبعد منه أن يطعن فيهما ويحاول جاهدا أن يخرج زوجته المسلمة منه وبخاصة إذا كان متعصبا لدينه [1].

ويلزم من حرية الزوجة في عقيدتها حرية أخرى بالقياس الأولي، وهي حرية الرأي والتفكير وإبداء وجهة النظر في أي أمر من أمور الأسرة المختلفة في حدود ماتجوز فيه الحرية من ذلك لرجل نفسه، لأن التفكير مهما اختلفت اتجاهاته، والرأي مهما تعددت مسالكه: أيسر شأنا من الإيمان والعقيدة، فلما سلمت لها الحرية في هذه فهي سالمة لها في تلك من باب أولى [2].

المحور الثاني : آثار زواج مختلفي الديانة

الزواج ليس فقط اقتران شخصين ورغبتهما في العيش تحت سقف واحد، بل هو

---

[1]- أحكام الأسرة في الإسلام لمصطفى شلبي ص 231.
[2]- فلسفة نظام الأسرة في الإسلام للدكتور أحمد الكبيسي ص 85.

ميثاق ترابط وتماسك، وهو اجتماع واختلاط عائلات بما يصاحب ذلك من تعارف وزيارات وتواصل بين أقارب الزوجين وفي حالة زواج مختلفي الديانة نجد أنفسنا أمام بيئتين مختلفتين على مستوى العادات والتقاليد والأعراف وعلى مستوى الدين والمعتقدات، فأسلوب العيش يختلف من بلد لآخر ونمط الحياة يتنوع حسب المجتمعات لذلك يجد الكثير من المتزوجين أو المتزوجات بأجانب أنفسهم أمام مشاكل وعراقيل تكدر الحياة الزوجية وتجعلها مستحيلة في بعض الأحيان فالفروقات الثقافية والاجتماعية تبقى حاجزا صعب التجاوز إذ يتشبث كل طرف برأيه ويرى نفسه على صواب فلايبقى مكان للتضحية.

كما لايجب أن نغفل ثمرات الزواج، فالأبناء يتأثرون بطريقة مباشرة بثقافة وتربية آبائهم ولكن في ظل وجود رؤى فكرية مختلفة بين أمهم وأبيهم لايعرف الأبناء بأي تقاليد سيتشبثون ولا أي ديانة يعتنقون الشيء الذي يؤثر سلبا عليهم فيصبحوا الضحية الأولى لهذا الزواج خاصة إذا انتهى هذا الأخير بالطلاق.

المطلب الأول:ضعف التماسك العاطفي للأسرة

إن الأسرة كمؤسسة اجتماعية مميزة عن غيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى باعتبارها وحدة إنتاجية تزود المجتمع بأعضاء جدد ومميزة بكون العلاقات فيها قائمة أساسا على الروابط العاطفية [1].

ويقصد بالتماسك العاطفي ماتوفره الأسرة لأعضائها من حب وشعور بالأمن والطمأنينة وهذا يعتبر بالنسبة للطفل مصدرا للأمن يتيح له الانتقال إلى مرحلة من النضج الاجتماعي والانفعالي والاتزان النفسي.

---

[1]- مشاكل الوسط الأسري وعلاقتها بانحراف الأحداث في المجتمع المغربي لعبد اللطيف مصلح، ص 66.

وتتضح متانة العلاقة بين الزوجين من خلال العواطف المتبادلة بينهما ومدى ارتباط كل منهما بالآخر من خلال مشاعر الود والاحترام المتبادل.

المطلب الثاني:التحدي الكبير الذي يواجه الأسرة

وفيما يزداد شيوع وانتشار الزواج بين الأديان خاصة في المناطق التي تتمتع بتنوع ديني أكبر، فإن الزواج بين أبناء الدين الواحد لايتم على نحو عشوائي. فالأشخاص لايزالون يميلون أكثر إلى الزواج من نفس الدين لأسباب تتعلق بالشخص الذي يرجح أن يلتقوا به والنتائج العملية المترتبة على الزواج.

فالأشخاص الذي نشأوا وهو يعتنقون ديانة واحدة يتميزون بعمل إضافي للتوافق في علاقتهم- كما قد يتعرض الأشخاص لضغوط من ذويهم ومجتمعاتهم أو من دور العبادة للزواج من شريك من نفس الدين.

النقطة الأولى: الأسرة والمؤسسات الدينية أحد سبل النزاع

لاتشجع المؤسسات الدينية في العالم الزواج بين الأديان وتستشهد بأدلة على أن الأشخاص الذين يتزوجون من أديان مختلفة ينتهي الحال بهم إلى عدم الاتفاق أو الطلاق على الأرجح كما أن من غير المرجح أن يحضروا الصلوات ويؤدوا العبادات ويلتزموا بجميع الطقوس الدينية.

كما أن عائلتي الزوجين من ديانتين مختلفتين ومؤسساتهما الدينية تشعر بالقلق والانزعاج بشأن كيفية تنشئة الأطفال في المستقبل.

وتشعر المؤسسات الدينية بالقلق لأن الزيجات بين الأديان ستفقدها اتباعها في المستقبل لأن أطفال تلك الزيجات لن يمارسوا العبادة بنفس الالتزام بالمقارنة مع

أطفال الزيجات من نفس الديانة.

كما أن عائلة الشخص المتزوج من ديانة مختلفة ربما تشعر بالانزعاج من إمكانية تحول الزوج أو الزوجة عن الدين أو تنشئة الأبناء طبقا لتعاليم ديانة الطرف الآخر.

وفي بعض الحالات قد يختار أحد الشريكين التحول إلى دين الآخر قبل الزواج أو بعده بهدف توحيد العائلة وتسهيل التعليم الديني الذي يتلقاه أطفالهما وقد يكون هذا التحول سهلا كالتحول إلى الإسلام، وهناك ديانات أخرى لها طقوس أكثر تعقيدا.

ولذلك فإن المتوقع من الأشخاص الذين يتحولون عن ديانتهم من أجل الارتباط بزوجاتهم في المستقبل لايفعلون ذلك لأسباب روحانية وإنما لذاك الغرض فلا يسلموا من أي نوع من الصراعات في مستقبل زواجهم.

النقطة الثانية: التحدي الكبير الذي يواجه الأطفال

من المعروف على نطاق دولي أن القرار الخاص بتربية الأطفال وتنشئتهم يشكل أكبر تحد يواجه الزواج بين الأديان، ففي بعض الأديان هناك أحكام دينية تحدد أي الوالدين الذي يقر ديانة الأطفال-   ففي الديانة اليهودية على سبيل المثال تتحدد ديانة الأطفال بناء على دين الزوجة وبالتالي فإن الطفل من أم يهودية يعتبر يهوديا صرفا بينما الطفل من أب يهودي لايعتبر يهوديا بكل المعايير إلا إذا قرر التحول بنفسه.

وفي الإسلام تتحدد ديانة الأطفال استنادا إلى دين الأب من خلال دوره في تلقين الدين باعتباره رب البيت مسؤول عنها.

وبسبب تلك المشاكل المتعلقة بديانة الأطفال من الزيجات بين الأديان يعتبر بعض اليهود أن زواج الرجل اليهودي من امرأة غير يهودية أمرا مسببا لمشاكل أكثر

من زواج اليهودية من غير اليهودي.

وينطبق نفس الشيء على المسلمين الذي يعتقدون أن من المقبول زواج المسلم من غير المسلمة ولكن الأمر يصل إلى حد الكفر إذا تزوجت امرأة مسلمة من رجل غير مسلم لأنها قد تتحول إلى ديانته أو على الأقل تنشئ أطفالهما على أنهم من غير المسلمين.

ومع ذلك فإن العديد من المجتمعات الدينية لاتقر بتلك القواعد الصارمة ومعظم الأزواج والزوجات بين الأديان يختارون بأنفسهم تنشئة أطفالهم على أساس دينه أو دينها أو الاثنين معا أو حتى بدون دين.